http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1533) السنة السادسة - الأحد (14) حزيران 2009

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

في العلاقات التضامنية للشعب الكردي

القسم الثلاثون والاخير

فلك الدين كاكه يي

العلاقات المصرية الكردية منذ القدم:

ركزنا حتى الآن على هذه العلاقات في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان يجدر بنا أن نبدأ من البحث عن جذور هذه العلاقات منذ القدم.
د. محمد علي الصويركي، في بحثه عن الكرد في البلدان العربية، قد توقف طويلا في الفصل المتعلق بالكرد في بلاد مصر(١) وتحدث عن ثلاث حقب تاريخية متباعدة للعلاقات المصرية الكردية:

١- العلاقات القديمة بين الميتانيين الكرد والملوك الفراعنة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ويقول: ان الملكة (نفرتيني) من أصل ميتاني (كردي قديم).
٢- بعد مجيء الإسلام، حيث دخل الكرد كمكون جديد للأمة الإسلامية، وأدوا دوراً مشهوداً في بناء الحضارة الإسلامية وساهموا في أغناء الثقافة الإسلامية والعربية. اذ، بعد دخول مصر الإسلام، نشأت علاقات كردية مصرية من خلال الدين المشترك والثقافة المشتركة المنبعثة من هذا الدين، فكتب د. الصويركي (اخذ الكرد ينزلون بمصر على هيئة رجال حكم وإدارة وقادة عسكريين وجنوداً وتجاراً وطلبة علم خلال الحقبة الإسلامية الطويلة الممتدة عبر خمسة عشر قرناً. ومن الكرد من استقر في مصر وأتخذها دار سكن وإقامة، واندمجوا مع السكان وانقطعت جذورهم مع موطنهم الأول، وبرز من بين (الكرد المصريين) العديد من القادة العسكريين ورجال الإدارة والأدب والشعر والفقه والمحدثين والفنانين وأسدوا خدمات جليلة لوطنهم مصر...).
ويضيف الكاتب: ان الكرد في مصر شكلوا دولتين عظيمتين، الأولى الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي قبل حوالي (٨٠٠) عام، والتي أسهمت في رد الغزو الأوروبي (المعروف بالحملات الصليبية)، وأرست أسس نهضة اقتصادية وعمرانية وزراعية وثقافية يشهد لها الأجانب قبل المصريين.
أما الدولة الثانية فهي التي أنشأها محمد علي باشا الكبير، في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وأعتبر بحق مؤسس مصر الحديثة وصانع نهضتها العلمية والزراعية والعسكرية والصناعية.

دولة محمد علي باشا الكبير:

يقول د. الصويركي، كما يقول عديدون مثله: أنَّ أصل محمد علي باشا الكبير يعود الى عائلة كردية من أكراد ديار بكر(٢)، الواقعة حاليا في تركيا.
٣- حقبة القرن العشرين الميلادي، حيث نبغ -حسب قول الكاتب - من بين كرد مصر عباقرة وقامات كردية كانوا من رواد حركة الإصلاح والتحرر والفكر والفن في مصر والعالم العربي أمثال الإمام المصلح محمد عبده ومحرر المرأة قاسم أمين وأمير الشعراء احمد شوقي والشاعرة عائشة التيمورية ومن رواد القصة محمود تيمور... الخ!
والقائمة طويلة، تضم أيضاً المؤرخ محمد علي عوني (من ديار بكر أصلاً) والذي هو أول من ترجم كتباً عن تأريخ الكرد وكردستان من اللغة الكردية والتركية والفارسية الى اللغة العربية، أهمها كتاب (الشرفنامة) لشرف خان البدليسي الذي وضعه بالفارسية قبل عدة قرون.

وقد عرف اهالي مصر بروح التسامح والود في تعاملهم مع من كان يهاجر الى مصر ويختار الإقامة فيها حتى نهاية العمر، يبدو ان هذا الأمر كان عاملاً كبيراً دفع الأكراد من ديار بكر واورفا و وان وماردين وارضروم وسيواس ومرعش وعينتاب وقيصرية وملطية وغيرها من المدن الكردية (في تركيا الحالية) كذلك من مدن أربيل والسليمانية وغيرها (من العراق الحالي)، ليهاجروا الى مصر ويسكنوا فيها، لاسيما بعد ان فتح الأزهر رواقا كردياً، تخرج منها علماء كرد كثيرون.

مصر المتسامحة كانت قبلة الأقليات العرقية:

فبلاد مصر كانت تستقبل أبناء الأقوام والأعراق الأخرى برحابة صدر وتمنحهم فرص التربية والتعليم والتقدم. ويضيف الكاتب، دليلاً على ذلك، ان الأقليات العرقية في مصر من الأتراك والأرمن والشركس والكرد وغيرهم كانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ردحاً طويلاً من الزمن.

كرد منتشرون من الإسكندرية شمالاً الى أسوان جنوباً:

يقول الكاتب انه ما يزال الكرد يعيشون في مصر حتى اليوم، وهم منتشرون في أماكن مختلفة تمتد من الإسكندرية شمالاً إلى أسوان جنوباً، وقد اندمج القسم الأكبر منهم في المجتمع المصري وذابوا فيه طوعاً، اذ لم يذكر التأريخ أية واقعة أو حدث يدل على ان المصريين كرهوا الكرد او رفضوا اندماجهم. وما يزال الكرد القاطنون في المدن المصرية معروفين بأصولهم الكردية منهم الحكام والمحامون والصحفيون والمدراء والفنانون.
فالروائي المصري المعروف (صنع الله ابراهيم) زار كردستان سنة ١٩٩٩ ضمن وفد ثقافي مصري ووفود عربية شاهدوا عملية تدشين التمثال البرونزي لشاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري في اكبر حديقة بمدينة أربيل، بمناسبة مئوية ميلاد الشاعر. وقد نصب له تمثال برونزي آخر في مدينة السليمانية أقول: ان الروائي الكبير صنع الله، نشر موضوعاً شيقاً في مجلة الهلال ذكر فيه انه من أصل كردي لعائلة جاءت من ديار بكر، وبرز سياسيون كبار من بينهم الشخصية المعروفة خالد محي الدين.
وهناك عائلات كردية استقرت في صعيد مصر فمارس حياة عادية مثل بقية السكان الأصليين لمصر، وان بعض القرى المصرية تحمل لفظ الأكراد مثل: (كَفر الأكراد) و(منية الكردي) و(قرية الكردي).
ويبدو ان د. الصويركي بذل جهوداً كبيرة لجمع معلومات غزيرة من أكراد مصر أو من الوثائق والكتب.
فمن مصر انطلقت أول جريدة كردية (هي كردستان) صدرت من القاهرة، وافتتحت من القاهرة إذاعة كردية سنة ١٩٥٢، فوجد لغة أخرى الى جانب العربية كان وما يزال أمراً اعتيادياً للمثقفين والعلماء المصريين الكبار الذين تقبلوا واقع التعددية الثقافية واللغوية في العالم الإسلامي، واحترموا هذا التنوع الخلاق.

استنتاجات عامة:

مما سبق من حلقات هذا البحث يمكن استنتاج مدى عمق العلاقات الثقافية والاجتماعية بين الشعبين الكردي والعربي منذ مقتبل الإسلام في عهد الرسول الكريم (ص)، وتشابكت هذه العلاقات، في خضم الحياة الطويلة الممتدة، مع علاقات إدارية وعسكرية وسياسية، حيث كان الكرد جزءاً مهماً في التحولات والانعطافات الكثيرة في العالم الإسلامي:
أولاً: فالكرد، كانوا موجودين في الشرق الأوسط، قبل مجيء الإسلام. واحتفظوا بموقعهم الجغرافي السياسي والتاريخي بعد الإسلام أيضا، حتى أنه أصبح متعذراً بحث أي تحول وتطور في العالم الإسلامي بدون ذكر الكرد، حيث يفرض الواقع والحقيقة رصد ومتابعة تأثيرات الكرد في الأحداث المهمة، وتأثيرها على الكرد.
ثانياً: يمكن الاستنتاج أيضاً بان الكرد، بحكم واقع حرمانهم وتهميشهم، وقفوا دائماً إلى اليسار من الإسلام، فانخرطوا بسهولة في الانتفاضات والحركات الاجتماعية الاحتجاجية منذ عهد الخوارج، والجبهة السياسية ضد الأمويين حيث ناصروا العباسيين، كما يتجلى ذلك في حركة أبو مسلم الخراساني (الكردي الأصل حسب الشاعر العباسي أبو دلامة)، واشتركوا أيضاً في حركات الزنج والقرامطة لكونها حركات معارضة ضد مركز الخلافة.
فالكرد كانوا جيشاً احتياطاً للمعارضة ضد الأنظمة والدول الاستبدادية، وظلوا في المعارضة حتى اليوم، فهم كانوا تواقين الى التحرر من الاستبداد والظلم، والتمتع بالمساواة والعدل، لذلك وقفوا إلى جانب حركات المعارضة التي كانت تحمل هذه الشعارات، علماً ان بعض هذه المعارضات كانت، لدى انتصارها، تتحول الى موقع الاستبداد وتحل محل الطغاة، تماما كما كانت حال العديد من الأنظمة والحكومات الانقلابية التي ظهرت في العراق وبقية دول الشرق الأوسط، اذ كانت تزعم الدفاع عن المحرومين والمستضعفين وتدعو الى الحق والعدل والمساواة، لكن ما ان كانت تستقر في هرم السلطة حتى تكشف عن جوهرها الرجعي المناقض لمبادئ العدل والمساواة، وتبدأ بممارسة نفس المظالم السابقة ضد الكرد وغيره من الشعوب المغلوبة على أمرها.
ثالثا: الشعور الراسخ بالغبن التاريخي والحرمان في أذهان وقلوب الكرد كان عاملاً ذاتياً محركاً يدفعهم إلى الانتفاضة والثورات منذ القرن الأول الهجري حتى اليوم، أو انها كانت تستظل بحركات المعارضة الأخرى في هذه البلدان.
هذا الواقع، الذي أصبح فينا يشبه (قانوناً داخلياً) للحركة الكردية، هو الذي يفسر تأييد أغلبية الكرد للأحزاب اليسارية في القرن العشرين، في بلدان الشرق الأوسط كافة، حتى ان الكرد أصبحوا يشكلون جزءاً مهماً من قيادات الحركة الثورية اليسارية، والشيء نفسه –الآن، منذ عقدين، لدى ظهور عصر العولمة وحقوق الإنسان والثورة المعلوماتية وأفكار الديمقراطية والدفاع عن حقوق المرأة.
فلو قرأنا الخارطة السياسية الميدانية للحركة الكردية بفصائلها الرئيسية في العراق وإيران وتركيا، لالاحظنا بوضوح ان الكرد هم أكثر الناس التصاقاً بالديمقراطية والعلمانية (بمعنى فصل الدين عن السياسة والدولة)، وذلك لأن الكرد عانوا كثيراً جداً خلال الحقبة الإسلامية طوال ١٥ قرناً، عانوا من دول وخلافات وحكومات تحكمت باسم الدين وتسترت به لارتكاب الجرائم والانتهاكات، وبمعنى آخر عانى الكرد من ربط السياسة والدولة بالدين، حسب التفسيرات من قبل وعاظ السلاطين وعلماء الدين الموالين للأنظمة السائدة.
رابعاً: لم ينتفض الكرد ضد الدين الإسلامي بذاته ولم يشتركوا في أية حركة معادية للدين، بل ساهموا في الحركات الاجتماعية الاحتجاجية ضد الأنظمة والحكومات الفاسدة التي كانت تتحكم برقاب الناس تحت لواء الدين، مستغلة اسم الدين استغلالاً تضليلياً.
وكانت للكرد إيديولوجيتهم في كل مرحلة، تبدت في الحركات الكبرى للتصوف التي كانت تقدم تفسيرات مختلفة عن الدين وموروثه، بينما كانت الأنظمة السياسية تسترشد بتفسيرات مغايرة.
فهذا هو الوجه الفكري الأيدلوجي للصراع بين الكرد وغيره من الفئات والقوميات المظلومة من جهة والطبقات الحاكمة من جهة أخرى.
فالجانبان: الكردي والمعارض من طرف والحكام من طرف آخر كانوا مسلمين تفرقهم أيديولوجيات سياسية نابعة من تفسيرات متباينة للدين نفسه، منسجمة مع مصالح اجتماعية طبقية متناقضة.
فينبغي تقديم سرد جديد للصراعات في العالم الإسلامي، وتنقية هذا التأريخ من التأويلات والتفسيرات الطبقية، وعدم تبرير الممارسات الظالمة للأنظمة والحكومات تحت أي شعار كان، دينياً أو قومياً وغيره.
خامساً: تشكل أغلبية الكرد في بلدان الشرق الأوسط جيشاً احتياطاً طبيعياً للحركة العالمية المعاصرة من أجل تطبيق أفكار ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، والدفاع عن الحريات الاجتماعية والسياسية في مقدمتها حرية الرأي والتعبير، والدعوة الى إعادة بناء الدول على أساس التكافؤ والعدل، كما هي التجربة العراقية بعد ٢٠٠٣ التي أقرت، طبق الدستور، نظاماً فدرالياً يعترف بالكيان الذاتي للشعب الكردستاني في إطار هذا الاتحاد.
ويبدو أن الاتجاه الإقليمي والدولي يميل إلى اختيار الأنظمة الاتحادية الفدرالية، مع اختلافات معينة في خصوصيات وتركيب كل بلد على حدة.
اذ ليس هناك نمط واحد للفدرالية، بل يجب ترك كل شعب لإقامة تجربته حسب ظروفه وإمكاناته، لكن المبدأ المشترك الأساسي والوحيد الذي يجمع هذه الشعوب معاً هو أقرار التعددية والقبول بالآخر واعتماد الأنظمة اللامركزية في الحكم وصولاً الى الفدرالية، أو الكونفيدرالية الديمقراطية اذا ما نضجت الظروف الذاتية في هذه البلدان.
ان جانباً مهماً للموضوع كله مرتبط بالوعي الثقافي والاجتماعي للناس، وتقدم ونضج النخب السياسية للقوميات والأمم السائدة في هذه البلدان.
من هنا تأتي أهمية التربية والتعليم ونشر الثقافة لإشاعة روح التسامح والحرية، واحترام حقوق وحريات الآخر.
سادساً: ليس للشعب الكردستاني سبيل آخر للتحرر السياسي والاجتماعي غير سبيل الديمقراطية والحرية.
وعلى هذا الشعب أن يكون في مقدمة سائر الشعوب في صياغة الحريات واحترام الثقافات كما هي، وضمان حرية العبادات والأديان.
بعبارة أخرى، فإن الشعب الكردستاني، في طريقه الى التحرر، يساعد بقية الشعوب والأمم (وهي السائدة الحاكمة) على التحرر بدورها، بدون ذلك لن يحل السلام الأهلي والمصالحة (التي تحتاجها سائر شعوب المنطقة).
وكما قلت في سياق الحلقات السابقة فإن الكرد "ليسوا عباقرة السياسة والتأريخ"، بل ان أوضاعهم الحادة وحرمانهم المزمن هو الذي حشرهم في هذه الزاوية الحرجة في ميدان التأريخ السياسي، بحيث أصبحوا، عفوياً وبدون وعي وتخطيط مسبق، من أوائل دعاة السلام والحرية والعدل لأنفسهم وللآخرين، فإذا بهم في أوائل القرن الواحد والعشرين الميلادي، يكتشفون أنهم مازالوا في صف المعارضة للدكتاتورية والفاشية والاضطهاد القومي والطائفي والاجتماعي والسياسي. فالكرد، بعبارة أخرى، مشروع دائم للمعارضة إزاء الظلم والاستبداد، طالما ان حقوقهم مهضومة ووجودهم منكر من قبل الآخرين، وثقافتهم مخنوقة محاصرة، وإرادتهم الإنسانية الطبيعية مغلولة.

(١) د. محمد علي الصويركي، في بحثه المنشور في كتاب (محمد علي عوني المؤرخ والأديب الكردي – المصري ١٨٩٧-١٩٥٢، الذي ضم بحوث الندوة الخاصة بهذا المؤرخ والأديب، من قبل وزارة الثقافة في إقليم كردستان في أربيل أيام ١-٣/١١/٢٠٠٧.
(٢) د. محمد علي الصويركي، نفس المصدر السابق ص٨٥.

التحولات الدينية والحزبية بين الذات والمصلحة العامة

د.عقيل الناصري

الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يحب الآخر ويحب ان يجتمع معه، ومن الطبيعي لذلك ان تنطلق التشريعات و القوانين والمبادئ الإنسانية من المصلحة الإنسانية العامة والمشتركة بين البشر، في آن واحد يكون الفرد جزءا من الجماعة وربما يكون الفرد عضوا خلاقا يبدأ بالتفكير بالآخر بصورة عفوية وتلقائية. المصلحة العامة هي القاعدة الدائمة للحياة المشتركة ولأي عمل اجتماعي يقوم به الفرد، ولا يمكن ان يعمل او يستمر بالعمل أي تشريع او أي قانون هدفه المصلحة الذاتية أساساً، على العكس تشكل المصلحة العامة الأولوية وخصوصا في أساس العمل الاجتماعي.

وشيئا فشيئا تتحول المصلحة العامة الى مصلحة شخصية ذاتية وتبدأ الجماعة بالتفرد وتأخذ منحا تعتقد فيه انها الأفضل وهي صاحبة الصدارة وتكون اما على شكل مؤسسات دكتاتورية متفردة او طائفية بغيضة، وتبدأ هذه الجماعة بالتنكيل بالآخر الذي قد يكون غير مؤمن بهم بصورة كافية بطريقة لا إنسانية وعنصرية أحيانا كثيرة وعند بداية ظهور جميع الأديان السماوية كانت أديان سلمية تسامحية تعتقد بالآخر وتؤمن به وكل الأنبياء والرسل جاءوا لمصلحة الآخر والتعريف بالله الأوحد وبالوصايا العشر. فكانت جميع الأديان تؤمن بالمساواة وحب الجماعة، والسمات الإنسانية المتحكمة بالعقل هي من أهم أركان أي دين.
كل الأديان بدأت تبشيرية تصالحية عامة لا فرق بين رجل ابيض او رجل اسود او بين امرأة او رجل، لا فرق، الا اذا كنت تؤمن بالله في نهاية المطاف.
وفي قول الآية القرآنية الكريمة (وخلقناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا) وهي دلالة على أهمية التقارب والمصالحة بين الناس.
ولكن مع الأسف بدأت بعض المؤسسات باستغلال الدين للمصلحة الشخصية شيئا فشيئا واعتبار الآخر لا دين له ويبدأ الكره والتكفير بدل الحب والاحترام، وبدل ان يكون الله الأوحد لجميع الأديان ولجميع الناس، بدأ هذا النوع من البشر بالتطرف واعتبار ان الله هو له وحده ولدينه وليس لغيره من البشر.
ولكن الله خلق الناس جميعا وكل الناس هم أبناء الله، والذي يؤمن بالله حقا يؤمن بالمساواة بين البشر.
وهذه المحاولات في التغيير لا تعني دينا بعينه او مذهبا محددا بل هي تشمل العديد من المؤسسات والأفراد الذين استغلوا الأديان للمصلحة الشخصية.
يقول المهاتما غاندي في مقالة له في أصل الأديان (الديانات دروب تختلف، تتقارب حول الرأي ذاته، ماذا يهم ان نسلك دروبا تختلف، طالما سنصل الى الهدف نفسه).
ولم تكن الأمور بأحسن حال في مجال السياسة والأحزاب، فعند تشكيل أي حزب تكون أركانه إنسانية بحته الهدف منه هو اسعاد الإنسان وإيجاد مخارج اقتصادية واجتماعية وسياسية وحلول لتغطية احتياجات الجماعة وليس الفرد، ولكن ومع مرور الوقت تبدأ بعض هذه الأحزاب بالتفرد فتأخذ منحا تكون كل الجماعة في هذا الحزب لخدمة بعض الأفراد فيه ويكون الحزب سلطوياً وشمولياً ويضيع بالتالي حق الجماعة التي هي بالذات التي الفت هذا الحزب، وعند التنصل من هذا الحزب لعدم جدواه يبدأ الأفراد المستفيدون أصلاً من هذا الحزب بمتابعة المتنصلين والقضاء عليهم.
وخلاصة الأمر يبدو ان كل الأشياء تبدأ مفيدة للإنسانية وتنتهي ومع الأسف للمصلحة الشخصية الخاصة والتعصب والرجعية.
الحل الوحيد لهذه التحولات ولمنع سقوط المصلحة العامة في أحابيل الأنانية والذاتية هو وجود مؤسسات فاعلة داخل الدولة وأخرى خارجها.
من هذه المؤسسات دولة القانون والصحافة الحرة ومنظمات مجتمع مدني تعمل وتراقب ما تفعله هذه المؤسسات وتفضحها وتحاسبها اذا أخطأت او تمادت في التنكيل بالآخر واضطهاده، كذلك لابد من توعية الناس ونشر روح التصالح والتسامح بين الجيل الجديد من خلال تغيير المناهج التربوية بحيث تخدم المصلحة العامة في كل المدارس والجامعات والحياة اليومية العامة في هذه المجتمعات.
اذا كان الفرد اجتماعيا ينتمي للمجتمع في إطار اجتماعي أنساني مشترك فلا معنى ولا مكان داخل المجتمع لأفراد ومؤسسات تدعي تدعيم هذا الإطار وهي في الواقع تخربه.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com